المحاضرة التاسعة:

مقدمة البحث وخاتمته

تُعدّ مقدمة البحث وخاتمته ركنين أساسيين في البناء المنهجي للدراسة الأكاديمية، إذ تشكل المقدمة نقطة الانطلاق التي تضع القارئ في صلب الموضوع، بينما تمثل الخاتمة المحطة الأخيرة التي تُوجز أهم النتائج والاستنتاجات التي توصل إليها الباحث، وتبرز مدى تحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها. ومن ثم، فإن العناية بصياغة هذين العنصرين تُسهم في إضفاء التماسك والدقة المنهجية في البحث، وتعكس قدرة الباحث على تقديم عمل علمي متكامل، يبدأ بتحديد المسار وينتهي بعرض الحصيلة العلمية المتوصل إليها.

-أولا-مقدمة:

المقدمة هي الصورة التعريفية الموجزة للبحث والجزء الأول منه، وهي آخر جزء يكتب منه (البحث)، وترقم ترقيماً أبجدياً أو ألفبائياً. ويشتمل هذا الجزء على إعطاء فكرة عامة عن أهميته البحث وأهدافه، كما يحتوي على الدراسات السابقة ذات العلاقة بالبحث وما توصلت إليه الدراسات من نتائج، كما تتضمن المقدمة نقاط توضيحية لما تختلف به الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة وما ستضيفه أو تساهم به من إضافة وجديد في المعرفة العلمية. كما يتم فيها التطرق إلى موضوع البحث بإيجاز، وذكر أسباب اختيار الموضوع، والهدف من ورائه؛ المنهج المتبع في البحث وخطته بإيجاز؛ وكذا التطرق إلى أهم مصادر ومراجع المعتمدة في الدراسة، مع طرح إشكالية الموضوع...إلخ.

إن المقدمة الجادَّة هي مرآة تعكس للقارئ شيئا من شخصية المؤلف، وأسلوبه وطريقة تفكيره، وكما هو معروف فالمقدمة أول ما يقرأ وآخر ما يكتب وأول ما يقرأ، أي تكتب بعدما ينتهي الطالب أو الباحث من كتابة بحثه بعد أن يكون قد فهمه وعرف مصادره وتعامل معها، وواجه كل الصعوبات التي اعترته خلال دراسته.

بعد إتمام الصياغة النهائية للمسودة، والاستعراض التام لمباحث الموضوع، واستيفاء الكتابة في جزئياته وكلياته؛ تكون قد اتضحت صورة البحث تمامًا، واكتمل بناؤه العلمي؛ وحينئذ يكون من السهل تحديد النقاط، وحصر المعلومات التي يرغب في تدوينها في المقدمة،

هذه الأخيرة التي تعد من أهم عناصر البحث الأساسية، باعتبارها المدخل العام للبحث والتي تتركز فيها صورة البحث، وهي أول ما يتصدر البحث وإن كانت آخر ما يكتب منه، ومن خلال سلامة لغتها وتراكيبها تعطي صورة عن شخصية الباحث العلمية تجاه موضوعه. كونها تكاد الجزء الوحيد - إلى جانب الخاتمة - من البحث الذي يكون من إنجاز الباحث نفسه، دون الرجوع فيها إلى المراجع، لذا تخلوا من الهوامش إلا ما كان من باب ضبط نص آية أو تخريج حديث، أو رقم إصدار قانون أو ما في حكمه.

ويدخل القارئ إلى البحث من خلال المقدمة ويعطي انطباعه الأولي عليه من محتواها، فإذا أعجب القارئ بها فتحت له شهية قراءة البحث وإن كان غير ذلك ترك البحث ولم يعره اهتماما. كما أنها توفر انطباعاً أولياً محفزاً عن وجهة نظر الباحث، ومنطقه، وأسلوبه في الكتابة، وأيضاً تعطي لمحة عن الجودة الشاملة للدراسة، وجودة وصدق النتائج والاستنتاجات.

أما إذا كانت المقدمة غامضة أو غير منظمة أو مليئة بالأخطاء فإنها بالتأكيد ستعطي انطباعاً سلبياً عن البحث بالكامل، في حين أن مقدمة موجزة وجذابة ومكتوبة جيدًا ستجعل القارئ يفكر بمهارات الباحث التحليلية، وجودة أسلوبه الكتابي، والمنهج الذي يتبعه.

ونجاح الباحث في بناء مقدمة سليمة واضحة، يعكس مدى صلة الباحث ببحثه، ومدى إحاطته واستيعابه لفكرة البحث؛ فالمقدمة الناجحة ترسم الانطباع الأول حول قدرة الباحث في التحكم في بحثه، وكذا مدى أمانته العلمية.

وعلى الرغم من أن المقدمة هي القسم الرئيسي الأول لورقة البحث، إلا أنه غالباً ما يكون من الجيد أن يتم كتابتها في وقت متأخر للغاية، أي بعد إنهاء الدراسة، وذلك لتكون المقدمة مطابقة لما هو موجود في متن الدراسة وبنيتها، من تقارير ونتائج وغيرها.

ويظهر كل هذا من خلال بناء المقدمة على عناصر منهجية أساسية، مرتبة ترتيبا منطقيا يذكرها أساتذة المنهجية، يجب على الطالب إظهارها في مقدمته على شكل عناوين، باستثناء العنصر الأول، وهي كالآتي:

أ-1- البدء بالاستفتاح (البسملة والحمد والثناء على الله عز وجل بما أهله) دون إطالة. ثم التعريف بموضوع البحث أي الإطار العام لموضوع البحث الذي يستهله الباحث بذكر عنوان البحث كاملا.

أ-2- أهمية موضوع البحث (الأهمية العلمية).

أ-3- أهداف الدراسة.

أ-4- أسباب اختيار موضوع البحث والدافع إليه.

أ-5- الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع: ويراد بها الدراسات الأكاديمية التي تناولت موضوع بحثه أو تدخل في الإطار العام لموضوع بحثه وتتقاطع معه، من رسائل الماجستير والدكتوراه لا الكتب، حيث بعد بيان معلومات الدراسة (الرسالة) عنوانها والجامعة المقدمة فيها وسنة تقديمها، يبين الإشكالية التي عالج الموضع من خلالها والمنهج الذي اعتمده وكذا ذكر أهم النتائج التي خلص إليها (نتيجتين أو ثلاث على الأكثر) مع توضيح من الباحث بعد ذلك وجه الإضافة أو الاختلاف أو النقص بين دراسته والدراسة التي استشهد بها. والأبعاد التي تتطلب تركيزا أكبر، تحديدا للمنهجيات الأكثر ملائمة لاتباعها في البحث أو الدراسة.

ويعد تناول الدراسات السابقة قسمًا أساسيًا لأنه يحدد الإطار النظري للبحث ويقدم للقارئ الأفكار الأساسية والفرضيات والنظريات المقدمة حول موضوع البحث. وهذا الجزء يتيح للطالب أو الباحث معرفة وفهم الآراء والأبحاث المختلفة حول هذا الموضوع. وعليه لا ينبغي أن تكون المراجعة مجرد ملخص للأبحاث السابقة، بل مراجعة شاملة وتقييم ومناقشة للدراسات في ضوء موضوع البحث المطروح في الدراسة أو البحث. وتشمل خصائص الدراسات السابقة ما يلي:

- الاكتمال في عرض جميع النظريات حول الموضوع.
- التحليل والمناقشة، وليس مجرد التلخيص والذكر؛
- التفكير النقدي وتقييم النظريات المتقدمة.
- التحليل وإعداد التقارير.

أ-6- الإشكالية التي يطرحها الباحث: من المهم أن يُحدِّد الباحث جوانب المشكلة موضوع البحث، بحيث يتم التركيز على محور المشكلة، وعدم التطرُّق إلى جوانب فرعية، وللباحث تحديد جوانب مشكلته كيفما شاء تحديدًا زمانيا ومكانيا على أن يضع لنا تفسيرًا لهذا التحديد.

وتكون على شكل تساؤل رئيسي يشكل النواة الجوهرية لموضوع البحث على ضوء أهدافه، وللباحث طرح تساؤلات فرعية تخدم الإشكال الرئيسي إن قدَّر ضرورة ذلك دون إكثار منها، على ألا تكون تساؤلات سطحية تجزيئية للبحث. مع الحذر ألا تكون قيمة أحد الإشكالات الفرعية أهم من قيمة الإشكال الرئيسي، أو هي الأولى باعتبارها الإشكال الرئيسي، ما يعكس عجز الباحث على تصور وطرح إشكالية موضوع بحثه. لذا يفضل الاقتصار على تساؤل واحد رئيسي تتركز فيه إشكالية البحث بأكمله.

أ-7- المنهج المعتمد للبحث: أو المناهج (تحليلي، وصفي، استقرائي، مقارن....) إذا يكن أن يستعمل الباحث أكثر من منهج علمي في إنجاز بحثه بحسب ما يتطلبه موضوع بحثه وبحسب الإشكالية التي طرحها، والإجراءات الني استخدمها في إنجاز بحثه. فالمنهج هو الوعي بالموضوع من خلال الوعي بالخطوات التي تتبع من أجل اكتماله وتبيان الحقائق، كما هو الطريق الذي يسلكه الباحث في تبيان المعلومات والحقائق الكامنة والظاهرة وتحليلها وتفسيرها وتوضيح البحث كوحدة واحدة لا انفصال فيها، وبهذا يكون المنهج المترجم للفروض والمنظم للبحث من البداية إلى النهاية.

أ-8- إيجاز خطة وهيكل البحث (الخطة المعتمدة): من دون تفصيل لفروع وجزئيات البحث، أي ذكر المحاور الكبرى للبحث، الفصول والمباحث فقط إذا تقسيمه الأول يبدأ من الفصول، أو المباحث والمطالب إذا انطلق تقسيمه للخطة من المباحث.

أ-9- أهم المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث مع تقديم نقد موجز لها.

أ-10- الإشارة إلى الصعوبات التي واجهت الباحث في عمله على هذا الموضوع كصعوبة الوصول والحصول على بعض الوثائق والمراجع لإجراءات معينة تستدعيها...الخ.

- **<u>ملاحظة مهمة:</u>** لا ترتب صفحات المقدمة بالأرقام وإنما بالحروف الأبجدية: أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح ...، وتحسب في الترقيم العام لصفحات البحث أي تعبر الصفحة (أ) رقم

1 والصفحة (ب) رقم 2 والصفحة (ج) رقم 3 وهكذا، وعليه يبدأ ترقيم الصفحة الموالية لانتهاء المقدمة من آخر ترقيم صفحة انتهت إليها مقدمة البحث، فإذا انتهت عند (ج) مثلا يكون ترقيم الصفحة الموالية هو الرقم: 4.

ثانيا-الخاتمة:

تكون في نهاية البحث وفيها يقوم الباحث بعرض موجز لأهم ما تمّ التوصل إليه واستخلاصه من نتائج علمية للدراسة، وصل إليها الطالب بعد تنقله في جوانب إشكالية بحثه المختلف، مع تسجيل المعارف الجديد التي توصل إليها الباحث مقارنه بالمعارف السابقة التي كانت معرفة حول موضوع الدراسة.

ومن خلال الخاتمة، بالإمكان تكوين فكرة عن أهمية البحث وقيمته. وغالبًا ما تتضمن ثلاثة أجزاء: التوليف، وعرض المساهمات الجديدة للمعرفة التي كان العمل أصلها، وأخيرًا المقترحات. حيث تشير الخاتمة إلى الخطوط الرئيسية للاستراتيجية الشاملة، ولا سيما المشكلة، والأسئلة، وأدوات البحث المنفذة، وتذكر بالنتائج الأساسية التي تم الحصول عليها دون أن ننسى تحديد ما إذا كانت الأهداف قد تحققت.

ويمكن للخاتمة أن تتضمن بالإضافة إلى ذلك مجموعة من التوصيات التي يرى الباحث أنها مفيدة وضرورية شرط أن تكون توصيات معقولة وقابلة للتطبيق ومتوافقة مع ما توصل إليه الباحث في بحثه. ويمكن أن يحدد الباحث أو الطالب المجالات التي يمكن أن يتطرق إليها باحثون آخرون ولم يتم التّعرض إليها في الدراسة أو تمّ التّعرض لها بشكل مختصر أو سطحي ويقترحها على شكل آفاق مستقبلية. ويدخل ترقيم هذا الجزء ضمن التسلسل العام الرقمي للبحث.

إن خاتمة البحث هي ولا شكّ المساهمة الأصلية والإضافة العلمية التي تنسب بلا مزاحمة أو منافسة. إنها الدليل الواضح الملموس على قيمة البحث والدراسة، ليس هذا فحسب بل إنها المرآة الحقيقية لمستوى الباحث ومقدار فهمه للمادة العلمية التي يعرضها على القارئ. وهي آخر ما يلامس نظر القارئ فلا بدّ من إحكامها فكراً، وأسلوباً، وصياغة، وترتيبا، حتى يكون الانطباع الأخير ذا أثر بالغ ومريح في نفس القارئ.

تمثل خاتمة البحث تتويجاً لجهود الباحث ودراسته المستفيضة لموضوع بحثه، يعرض فيها نتائج البحث بشكل واضح ودقيق تثبت صحة النتائج وخطئِها أو تعديلها، كما تتضمن الخاتمة أيضاً توصيات الباحث وشروط تطبيقها، ويستحسن عند صياغة الخاتمة تميز أسلوب هذه الأخيرة وتجنب تكرار ما ورد في الأجزاء من البحث.

ومن خلال الخاتمة نستطيع تكوين فكرة عن أهمية البحث وقيمته، وتكمن وظائف الخاتمة في ثلاثة عناصر أساسية تتمثل في تقديم حوصلة عن تحليل البيانات وتأويل نتائجها دون أن ننسى تحديد ما إذا كانت الأهداف قد تحققت، والإشارة إلى المعارف الجديدة التي تمّ اكتسابها والطريقة المنتهجة في تحصيلها، وأخيراً اقتراح آفاق جديدة للبحث فيما له علاقة بالموضوع بناءاً على تجربة الباحث.

تعد الخاتمة أيضا كما المقدمة من أهم أجزاء البحث وأساسياته، ومعيار تصور واستيعاب الطالب لبحثه، وتحكمه فيه، ومدى جودة ما قام به من عمليات التحليل والتوضيح في صلب بحثه، إذ تشكل الخاتمة الثمار التي تتوصل إليها البحث وعصارة ما اجتمع في صلب موضوعه. والخاتمة الجيدة لا تنتج إلا من اعتصار مضمون جيد، ومن مُعتصِرٍ جيد.

فالخاتمة هي الجزء الأخير الذي ينتهي إليه البحث، ولا ينتهي بها البحث لأن البحث – في أجزائه الموضوعية لا الشكلية- ينتهي بكتابة المقدمة. وتكون على شكل نقاط وليست بطريقة سردية، ويبين فيهما الباحث خُلاصة ما توصَّل إليه في بحثه من نتائج، وما أهم التوصيات والمقترحات التي يطرحها على القارئ.

وعليه فلكل بحث خاتمة يجمع فيها الباحث نتائج البحث وما توصل إليها من خلاصة علمية يؤكد بها حقائق علمية أو يصححها بها لما كان شائعا عند جمهور الباحثين. كما يمكن للباحث أن يشير إلى إشكالية ظهرت له نتيجة البحث ويوصي غيره من الباحثين بالبحث فيها.

وتتشكل الخاتمة من عنصرين هما: عنصر النتائج وعنصر التوصيات والمقترحات.

- ✓ نتائج البحث هي جملة الحقائق العلمية الموضوعية التي توصل إليها الباحث من خلال بحثه، فالنتيجة هي الحقيقة العلمية الموضوعية المجردة التي توصل إليها الباحث من دراسة نقطة معينة. وهي ترتبط بأهداف البحث وإشكاليته، فليست النتائج مجرد

تلخيص لأهم أفكار البحث، فهذا مجاله بدءا في المقدمة بصورة مركزة، وفي نهاية كل فصل، وعلى هذا فنتائج البحث لا تستنبط من كل ما تضمنه البحث واحتواه وإلا صارت تلخيصا كما ذكرنا، وإنما يُتوصل إليها من كل عملية ذهنية يقوم بها الباحث تجاه جزئية أو فكرة أو مجموعة أفكار تحليلا أو مقارنة أو جمعا أو نقدا لأفكار مسبقة تضمنها بحثه، أو بناءا أو طرحا لأفكار جديدة توصل إليها الباحث من خلال بحثه.

ويجب أن تكون النتائج واضحة مختصرة ترتبط ارتباطا مباشرا بإشكالية البحث وتساؤلاته، وتُعرض على شكل فقرات مختصرة تتركز فيها فكرة النتيجة، كل فقرة منفصلة عن الأخرى بعلامة المطة (-).

- ✓ أما **عنصر توصيات البحث** ومقترحاته فهو ما يرفعه الباحث إلى المعنيين من الهيئات أو المؤسسة أو غيرهم من تصورات لاستثمار وتجسيد نتائج بحثه. مع ملاحظة أن كل ما يوصي به الطالب أو يقترحه يجب أن يكون ذا صلة ومما تم تناوله في صلب بحثه.

فقد لا تؤدي جميع الأبحاث إلى نتائج عملية يمكن أن تكون بمثابة دليل لاتخاذ القرارات والإجراءات. ولكن قدر الإمكان، يجب تقديم المقترحات أو التوصيات التي تهدف إلى الإشارة إلى علاجات أو حلول لمواقف عملية (دراسات حالة ذات طبيعة تقنية أو مهنية) أو سبل جديدة للبحث (لمواصلة إثراء وتعميق المعرفة في المجال المعرفي). الميداني، وإذا لزم الأمر، تعديل طريقة دراسة العديد من الأسئلة والمشكلات وكذلك رؤيتنا لها).